مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللّغات، المجلد 1 العدد 3 بتاريخ 2020/08/20م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

البحث في علم الاجتماع بين النظريات والواقع

1 – الإسم واللقب: يحيى بلمقدم

باحث دكتوراه علوم، تخصص علم الاجتماع، السنة الخامسة نظام كلاسيكي. **الرتبة:**

المؤسسة والبلد: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر.

مخبر: أنتروبولوجيا الأديان ومقارنتها.

الإيميل:yahia.belmokaddem@gmail.com

2 – الإسم واللقب: مريم جلطي

الرتبة: باحثة دكتوراه علوم، تخصص علم الاجتماع، السنة الخامسة نظام كلاسيكي.

المؤسسة والبلد: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر.

الإيميل:meriem.djemokaddem@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/08/23 م تاريخ التحكيم: ../../**2020م تاريخ النشر:** ../../**2020م**

الملخص بالعربية:

يتميّز البحث العلمي في مجالات العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة بالضّبابية (على اثر التطوّرات الحاصلة في المجتمع وفي كل المجالات) وعلى وجه التّحديد البحث في علم الاجتماع، الّذي حكمت على تفسير ظواهره مجموعة من النّظريّات والتوجّهات المؤدلجة التّي تحمل في طيّاتها العديد من المؤشّرات، عقّدت الاشكال الذي يطرحه اختلاف المجتمعات وثقافاتها، فهل هذه التوجّهات صالحة

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللّغات، المجلد 1 العدد 3
بتاريخ 2020/08/20م

ISSN: **2708–4663 DNNLD :2020–3/1128**

لتفسير الظّواهر الاجتماعية في كلّ مكان وزمان في ظلّ التغيّرات السّريعة الحاصلة على مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات بفعل التّطوّر التكنولوجي؟ وهل التوجّهات الايديولوجيّة طغت على التّحليلات والتّفسيرات؟ وهل البحث العلمي في علم الاجتماع في الجزائر وباقي المجتمعات العربية التي تشترك مع المجتمع الجزائري في العديد من الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السّياسية يرقى لإيجاد الحلول للمشكلات التي تعاني منها هذه المجتمعات وفق مبادئها وخصوصياتها؟

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع، البحث العلمي، التّفكير، الواقع، النّظريات.

Research in sociology between theories and reality

1- Name and surname: yahia Belmokaddem
Rank: PHD Researcher, Doctor of Science, Sociology, Fifth Year Classical System**.**

Institution and Country: Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Abi Bakr Belkaid Tlemcen, Algeria**.**

Laboratory: anthropology of religions and its comparison**.**

Email: yahia.belmokaddem@gmail.com

2- Name and surname: Meriem Djelti
Rank: PhD researcher, Sociology, fifth year classical system**.**

Institution and Country: Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Abi Bakr Belkaid Tlemcen, Algeria**.**

Email: meriem.djemokaddem@gmail.com

Summary:

Scientific research in the fields of the human and social sciences is characterized by ambiguity (as a result of developments in society and in all

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

fields) and specifically research in sociology, whose phenomena have been judged by a set of theories and ideological trends that carry many indicators, complicating the forms that it presents The difference in societies and their cultures, are these trends valid to explain social phenomena in every place and time in light of the rapid changes taking place at the level of individuals, groups and societies due to technological development? Did ideological trends overwhelm the analyzes and interpretations? Does scientific research in sociology in Algeria and the rest of the Arab societies that share many cultural, social, economic and even political peculiarities with the Algerian society, amount to finding solutions to the problems that these societies suffer from according to their principles and peculiarities?
Key words: sociology, scientific research, thinking, reality, theories.

مقدّمة:

منذ أن وجد الانسان وهو في تفكير مستمر محاولا فهم نفسه والبيئة التي يعيش فيها – من خلال البحث في ما تخفيه الطّبيعة من جهة، وأسرار الإنسانية من جهة أخرى – بكل الطّرق والوسائل المتاحة وأنماط التفكير التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل أساسية منذ النّشأة إلى اليوم كالتّالي:

1 – التفكير اللّاعقلاني: وهي مرحلة طبيعية بحكم البدايات الأولى لنشأة الانسان في فهم نفسه والمحيط الذي يعيش فيه.

2 – التفكير العقلاني: وهي المرحلة الثّانية بعد فترة زمنية طويلة وبعد صراع كبير بين الانسان والطبيعة، بحكم النهضة العلمية وتطوّر العلوم والاختراعات فأخضع الانسان الطبيعة له بفضل التّفكير العقلاني النّاتج عن التقدّم العلمي المؤسّس على المنطق.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

3 – التفكير المبني على عقلنة اللاعقلانية: وهي آخر وأخطر مرحلة تعيشها المجتمعات البشرية اليوم، حيث أصبح الانسان لا يميّز بين العقلانية واللاعقلانية، ويعقلن كل ما هو غير عقلاني في ممارساته من أجل الحصول على متطلّباته وحاجاته اليومية ومصالحه الضّيقة على حساب مصالح وحريات الآخرين (أفراد، جماعات، ومجتمعات).

هذا فيما يخص علاقة الانسان بنفسه (مصالحه)، وعلاقته بالطبيعة، أمّا فيما يخص فهم علاقة الانسان بأخيه الانسان على حد تعبير هوبز فقد مرّت بمرحلتين أساسيتين هما:

1 – مرحلة التفكير الاجتماعي:

رواد هذه المرحلة مجموعة من الفلاسفة الذين قدّموا العديد من التّصوّرات والأفكار حول المجتمع ومظاهره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، من أجل الوصول إلى حلول للمشكلات التي كانت تعيشها مجتمعاتهم في ذلك الوقت. أمثال فلاسفة اليونان كسقراط (470 ق.م- 399 ق.م) (Socrates)، أفلاطون (427 ق.م– 347 ق.م) (Platon)، وأريسطو (384 ق.م – 322 ق.م) (Aristote) وغيرهم من الذّين قدّموا الكثير للإنسانية، في محاولة لتقديم فهم وتفسير للظواهر الاجتماعية من أجل إصلاح المجتمعات وبوجه التّحديد إصلاح مجتمعاتهم التي عايشوها التي كانت تعيش أنماط حكم مختلفة يغلب عليها الطّابع اللاعقلاني، فحاولوا تقديم حلول وتنبؤات واقتراحات للحكّام... ليستمر التّفكير الاجتماعي في محاولة لفهم الظّواهر الاجتماعية إلى غاية القرن الرّابع عشر ليظهر تفكير جديد ينفي، ويصحّح أخطاء الأوّلين من المفكّرين، يقوم على خطوات المنهج العلمي مع العلّامة ابن خلدون مؤسّس علم العمران البشري الذي يحمل في طيّاته العديد من العلوم الحديثة حسب اعتقادنا وعلى رأسها علم الاجتماع، فتفكير ابن خلدون بمثابة المرحلة الانتقالية من مرحلة التّفكير

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الاجتماعي إلى مرحلة علم الاجتماع التي عملت على القطيعة مع ما كان سائدا من التّفكير، والتّحوّل من الذّاتية إلى الموضوعية في معالجة القضايا الاجتماعية.

تظهر الدّراسات الحديثة اليوم بأن أفكار ابن خلدون سبقت عصره حيث قدّم الكثير من التّحليلات والتّفسيرات الاجتماعية والسّياسية، والاقتصادية، وبذلك اعتبره البعض من رواد علم الاجتماع وغيرهم بأنّه مؤسّس علم الاجتماع ممن يتحلّون بروح علمية موضوعية وعقلانية خاضعة للمنطق، التي تحترم حقوق وحريات الآخرين بالرّغم من عدم تصريحه بهذا الاسم. فالفكر الاجتماعي يعمل على التّفتّح الذّهني في كل المجالات، يقول أنتوني غيدنز في هذا الشّأن: "إيمانا منّي بأنّه من المهام الرّئيسية للفكر الاجتماعي أن يحرّرنا من قيود ما هو مألوف" (1).

2 – مرحلة علم الاجتماع:

كما سبق الذّكر يعتبر البعض أن ابن خلدون هو مؤسّس علم الاجتماع، فيما يعتبر البعض الآخر بأن مؤسّس هذا العلم يعود إلى الفيلسوف والمفكّر الفرنسي إيزودور ماري كازافيه أوغست كونت (1798-1857) (Auguste comte)، الذي سمّاه في البداية "بالفيزياء الاجتماعية" ليغيّر هذه التّسمية إلى علم الاجتماع في فترة لاحقة، الذي يرى بأنه العلم الذي يدرس الظّواهر الاجتماعية، أمّا الأب الأكاديمي لعلم الاجتماع إميل دوركهايم (1858 – 1917) (Emile Durkheim) الذي فتح باب "الاكتشاف الاجتماعي" (2)، هذا العلم الذي يجمع رواده على أنه العلم الذي يهتم بالمجتمع من جوانب عديدة اعتمادا على المدارس والنّظريات الاجتماعية، فمنهم من يرى أن علم الاجتماع يهتم بالعلاقات الاجتماعية مثل ماكيفير... كما يرى عالم الاجتماع **بيير بورديو** (1930 – 2002) (Pierre Bourdieu) "أنّ علم الاجتماع هو المعرفة التي تكشف النقاب عن الصراعات والمصالح

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

والرهانات، وهي ليست فقط مصالح الحاكمين بل أيضا مصالح ومكانات رجال المعرفة أنفسهم بمعنى أخر معرفة تكشف عن الكامن والمستتر، وعن المسكوت عنه، انه علم نقدي علم مزعج".

هذا العلم الذي مهّدت له مجموعة من العوامل كانت أوروبا على وجه الخصوص تعيشها، فظهر علماء وباحثين أرادوا فهم ما يحدث بالمجتمع الأوروبي دون أن يكونوا علماء اجتماع أمثال: أدولف كيتليه 1796- 1874 (O.Quételet) فيلارمي، فريديريك لوبلاي (1806 - 1882) (Frédéric Le Play)،... فقاموا ببحوث ميدانية ليظهر بعد ذلك علم الاجتماع بهذا الاسم مع الفرنسي أوغست كونت، من أجل فهم المجتمعات الأوروبية والمجتمعات الأخرى وخاصة الضّعيفة منها التي استعمرت فيما بعد مثلما فعل الأنثروبولوجيون من خلال دراساتهم للمجتمعات البدائية التي وظّفت في استعمار المجتمعات الضّعيفة.

يعتبر علم الاجتماع **كمولود عقيم** لم ينضج إلى يومنا هذا حسب تصوّرنا لما يحمل من تناقضات واختلالات نظرية ومنهجية حيث لا يمكن تعميمها على كل الجماعات والمجتمعات، ويظهر ذلك من خلال البحوث الاجتماعية التي أصبحت تحمل سوى الاسم دون أن يكون لها الأثر العميق في إصلاح وتوجيه المجتمعات، فعوض أن يكون البحث في علم الاجتماع متبوعا أي يقتدى به من طرف أصحاب، القرار أصبح عالم الاجتماع هو التّابع وبالتالي الدراسات التي تقام حول الظواهر الاجتماعية تكون وفق الأيديولوجيات وليس الواقع الاجتماعي المعيش. نحاول من خلال هذه الورقة البحثية نقل تجربة حول واقع البحث في علم الاجتماع، هذا العلم الحديث الذي يعالج الظّواهر الاجتماعية التي تتّسم باللااستقرار واللاثبات فهو بمثابة مادّة الزّئبق الذي لا يمكن الإمساك به باليد، لشدّة تحرّكه بفعل وزنه الخفيف. كما يمكن اعتبار الظّواهر الاجتماعية بمثابة فيروس الإيدز (VHI) الذي يغيّر من شكله كلّما تلقى لقاحا، فهكذا بالنّسبة للظّواهر الاجتماعية فهي تغير من شكلها

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وأساليب انتشارها في المجتمعات وبالتالي الحديث عن البحوث الاجتماعية بنظريات أسّست في مجتمعات بعينها ولأهداف معيّنة وفي ظروف محدّدة يصعب اليوم الاستعانة بها دون أخذ في الحسبان متغيرات كل مجتمع وخصوصياته المختلفة هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا أخذنا بعين الاعتبار الوسائل العلمية والمنهجية في دراسة أي ظاهرة اجتماعية يحترم فيها الباحث الاجتماعي الجاد (يقوده المنطق والدّليل العلمي، لا الرّغبات أو الأهواء أو التّقاليد غير الثّابتة علميا، في كل خطوة يخطوها في بحثه، أو رأي يتوصّل إليه فيه) (3) خصوصيات المجتمع المدروس من كل الجوانب و لم يلقى الاهتمام من طرف أصحاب القرار أي لا تؤخذ الدّراسة بعين الاعتبار فإن الظواهر الاجتماعية تزداد تشعّبا وتعقيدا، وتجعل من الباحث مجرّد موظف يقوم بدراسات أساسها الإنتاج لغرض ملئ السيرة الذّاتية فقط، وبالتالي لا ترقى لإصلاح المجتمع وهو الهدف النّبيل الذي أسس لأجله علم الاجتماع.

1 – أنواع الظّواهر الاجتماعية:

يمكن تقسيم الظّواهر الاجتماعية حسب أنماط التّفكير التي ذكرناها سابقا إلى ثلاثة أقسام هي:

- **الظّواهر الاجتماعية الميّتة:** نسبة إلى التفكير اللاعقلاني البريء، وهي الظّواهر الاجتماعية التي وقعت في الماضي، وكان لها الأثر الكبير، لكن انتهى تأثيرها و لم تعد لها فاعلية في المجتمعات الحديثة.
- **الظّواهر الاجتماعية الحيّة:** نسبة إلى التّفكير العقلاني المبني على الأسس العلمية والمنطق، وهي الظّواهر الاجتماعية التي لها تأثير في المجتمعات، وهي في تجدّد مستمر من خلال العوامل (الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، الثقافية) المغذّية لها.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- **الظّواهر الاجتماعية القاتلة: نسبة إلى التّفكير المبني على عقلنة اللاعقلانية**، وهي الظّـواهر الاجتماعية التي تفسد وتخرّب جميع بنى المجتمع، وهي أخطر الظّواهر ، يصعب علاجهـا في غالب الأحيان، لأنّها تأخذ شكل أعقد من شكل مرض الأيدز (VHI)، أي تغيّر من شكلها كلّما وجدنا لها حلول عبر كل الأجهزة ...إلخ.

2 – محطّات علم الاجتماع في الجزائر:

يمكن تقسيم المحطّات التي مرّبها علم الاجتماع في الجزائر إلى أربعة مراحل نوجزها كما يلي:

1.2. المرحلة الأولى (قبل 1962، أي قبل الاستقلال):

تعتبر هذه المرحلة كنقطة إنطلاق السوسيولوجيا في الجزائر وهي مرحلة السوسيولوجيا الكولونيالية وهي "تلك الدّراسات والأعمال التي أجريت خلال المرحلة الاستعمارية في الجزائر والتي عملت علـى دراسة المجتمع الجزائري، والتّنقيب في بناياته الاجتماعية والثّقافية والاقتصادية، وذلك لمحاولـت فهـم الميكانيزمات التي تتحكّم في البنى الاجتماعية والثّقافية سواء لخدمة الأيديولوجية الكلونيالية، أو لخدمة البحث العلمي" (4)، فنجد على سبيل المثال من بين العلماء الذين أصّلوا لعلم الاجتمـاع في الجزائـر إميل ماسيكراي (1883 – 1994) (Emile Masqueray) الذي كان "رائد مـن رواد المدرسـة الانقسامية التي جمعت بين تحليل الميكانيزمات الدّاخلية والظّاهراتية للمجتمعات وعلى العلاقات القبلية، واعتبرها خصوصية اجتماعية مغاربية، ويتميّز هذا التّحليل الانقسامي بحيويته في تبسـيط المعطيـات واستخدام الرّسوم البيانية والرّموز والأشكال التّخطيطية، فضلا عن استعمال الاحصائيات والمقارنات" (5).

2.2. المرحلة الثّانية (1963 – 1970):

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

كان النّظام التّعليمي الجزائري مرتبط ارتباطا وثيقا بالجامعة الفرنسية من حيث البرامج والأهداف والاستراتيجيات، حيث "تميّزت هذه المرحلة بهيمنة مناهج وبرامج المدرسة الفرنسية وظلّت السوسيولوجيا الاستعمارية تدرّس في الجامعات الجزائرية رغم الاستقلال، ويظهر ذلك جليا في الكثير من دراسات الجيل الأول من السوسيولوجيين الجزائريين وحتى الجيل الثّاني، من حيث اللغة الفرنسية المستعملة والخطابات الفرنكوفونية التي ظلّت قائمة إلى غاية 1971، وهذا يرجع إلى تكوين العديد من السوسيولوجيين الجزائريين على يد السوسيولوجيين الفرنسيين" (6)، ما جعل امتداد التّفكير السوسيولوجي للباحثين الجزائريين خاضع للتّفكير السوسيولوجي الفرنسي واستحالة القطيعة معه.

3.2. المرحلة الثّالثة (1971 – 1984):

عرف المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة تحوّلات كثيرة على جميع المستويات والقطاعات من خلال الإصلاحات السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية. فقطاع التعليم العالي تميّز كغيره من القطاعات بمجموعة من الإصلاحات، فكانت الممارسة السّوسيولوجية الميدانية في الجزائر وجدت حقل خصب للدّراسات الاجتماعية الكثيرة، كما كان لها الأثر الكبير في مسايرة التغيّرات التي عرفها المجتمع الجزائري حينذاك، حيث "كانت الدّولة الجزائرية تشعر بأنّ ذلك الاختيار هو اختيارها الاستراتيجي" (7) ، وهنا تمّ ردّ الاعتبار للسوسيولوجيا الجزائرية من حيث القرارات والإجراءات المتخذة في حق هذا التّخصّص، كما كان توجّه المختصّين في علم الاجتماع نحو الدّفاع عن مسار بناء الدّولة الاشتراكية وايديولوجية الحزب الحاكم، وعليه يمكننا القول بأنّ مسار علم الاجتماع في الجزائر تحوّل من السوسيولوجيا الاستعمارية الأكاديمية والأيديولوجية الفرنسية إلى السوسيولوجيا الجزائرية الايديولوجية الاشتراكية (أي تحوّل علم الاجتماع من علم أكاديمي فرنسي ذو أيديولوجية استعمارية، إلى علم إيديولوجي اشتراكي) وهو أمر طبيعي جدا فلا يمكن لأحد أن يتكلّم البارحة بالصيغة التقليدية

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الاستعمارية، أو الصّيغة الحديثة اليوم أن يتكلّم عن علم اجتماع مستقل عن الأيديولوجية، لأنّنا من المستحيل أن نجد علم الاجتماع دون أن يحمل بين أجنحته إيديولوجية معيّنة، لأنّه أهدافه الأساسية دراسة أي مجتمع، أو جماعة... بعينها وبالتالي فلا يمكن الحديث عن دراسة لفئة معينة خارج خصوصياتها... فعلى سبيل المثال نجد علم الاجتماع الجزائري إن صحّ التّعبير في هذه المرحلة ساير الثّورة الصّناعية من خلال علم الاجتماع الصّناعي والثّورة الزّراعية من خلال علم الاجتماع الرّيفي والحضري.

انقسمت السوسيولوجيا في هذه المرحلة إلى قسمين هما:

1 – علم اجتماع ثوري تقدّمي مشبّع بالأيديولوجية الاشتراكية الماركسية.

2 – علم اجتماع الرّجعيين البرجوازيين وأصحاب الممتلكات من أراضي ورؤوس أموال مضاد للأيديولوجية الاشتراكية: وهم الذين أخذوا تكوينهم عن الأيديولوجية الرّأسمالية (8)، وبهذا أصبح علم الاجتماع يأخذ إتجاهين متناقضين بسبب انقسام واقع المجتمع الجزائري سياسيا واجتماعيا. بين النّموذجين المذكورين توجد فئة قليلة جدّا عملت على الاهتمام بعلم الاجتماع بشكل علمي محض بالرّغم من الظّروف التي واجهتها كالاقصاء والتّهميش.

4.2. المرحلة الرّابعة (1984 إلى يومنا هذا):

هي آخر مرحلة يمر بها تطوّر مسار علم الاجتماع والبحث السوسيولوجي في الجزائر وهي المنعرج الحاسم في مسار تطوّره "فبعد ما كان هذا العلم في المرحلة التي سبقت علما نقديا إيديولوجيا ثوريا، أصبح مع التّوجّه الليبيرالي الجديد للدّولة علما منبوذا، فاقدا لكل المكاسب التي حقّقها في المراحل السّابقة، وهذا بالرّغم من ضآلتها، فنجد الخطاب الرّسمي في هذه الفترة قد تغيّر موقفا وعملا

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

اتجاه العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصّة، وأصبحت كل الأنظار متّجهة نحو العلوم الطّبيعية والتّكنولوجية، وذلك باسم التّنمية والتّغيير (9).

عرف المجتمع الجزائري في هذه المرحلة تحوّلات عميقة على المستوى السياسي الاقتصادي والاجتماعي بداية بأحداث أكتوبر 1988 والتّوجّه نحو الدّيمقراطية والتّعدّدية الحزبية، وكانت الفرصة مناسبة للباحثين السّوسيولوجيين من أجل البحث في هذا التّحوّل العميق الذي تعرفه الجزائر، لكن نجدهم لم يبذلوا الجهود المطلوبة لمثل تلك الأحداث والظّواهر الهامة التي مرّ بها المجتمع الجزائري، وهذا ما زاد من التّقليل من أهمية علم الاجتماع في الجزائر.

أما بعد المصالحة الوطنية التي أقرّتها الدولة الجزائرية واستقرار الأوضاع بدأة كل القطاعات في البناء من جديد، ففي قطاع التعليم العالي أنشئت الجامعات والمعاهد... وبدأ علم الاجتماع في الانتشار وتضاعف عدد الطّلبة بشكل كبير جدا، وأقيمت الدّراسات السوسيولوجية علة مختلف الظّواهر الاجتماعية لكن لا ترقى في أغلبها للنّوعية. وهذا راجع لعدّة عوامل أهمّها عامل تدخّل السياسي وفرض آراءه حول مدخلات ومخرجات التعليم بشكل عام والتعليم العالي على وجه الخصوص، والجدول التّالي يوضّح العلاقة بين السياسي والسوسيولوجي:

الأوجه / نموذج	الوجه الإيجابي	الوجه السّلبي
السياسي	يوفر الهياكل القاعدية للتعليم العالي.	-لا يوظّف نتائج البحوث السوسيولوجية في تنمية المجتمع، ما يؤدي في الأخير إلى فشل كل عمليات

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

		التنمية الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية لأنها خاضعة في أحسن الأحوال إلى قرارات ارتجالية غير خاضعة للبحوث العلمية الاستراتيجية على المدى القريب والمتوسط والبعيد، وفي أسوئها خاضعة لأفكار الآخرين وإملاءاتهم وهو النمط الغالب في المجتمعات الضّعيفة.
	حماية مؤسّسات التعليم العالي.	-يعمل على تهميش العلوم الإنسانية والاجتماعية وخاصة علم الاجتماع.
		-يعتقد بأنّ علم الاجتماع يزعزع استقراره ومكانته... -يعمل على تدني مستوى طلبة علم الاجتماع بشكل أو بآخر (توجيه أضعف الطّلبة للعلوم الإنسانية والاجتماعية... تكوين ضعيف مستورد).
السوسيولوجي	يفسّر، يفهم، يكمّم، ويحلّل الظّواهر الاجتماعية التي يستحيل في غالب الأحيان أن	- أحيانا يقدّم دراسات لا معنى لها، ولا تساهم في بناء وإصلاح المجتمع، ولا تعمل على ثباته واستقراره، بل تعمل على العكس تماما. - الابتعاد عن المواضيع الحسّاسة لسببين إمّا خوفا من

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

	يفهمها السياسي، ويبني على أساس فهمها برامج واستراتيجيات لبناء وتطوّر المجتمع...	قهر وتهميش السلطة الحاكمة له، أو خدمة لتجاوزاتها.
		-يستخدم نظريات ومفاهيم مستوردة في غالب الأحيان، لا تتناسب مع الواقع المعيش. -تعميم نتائج الدراسات السوسيولوجية من العينة إلى مجتمع البحث وهذا أمر غير دقيق...
		-كل باحث سوسيولوجي يحمل إيديولوجية معيّنة مهما تحلّى بالروح العلمية والموضوعية.

3 – منهج البحث في علم الاجتماع:

يركّز الباحثون في علم الاجتماع على خاصيتين أساسيتين هما التّكميم و الفهم والتّفسير أثناء الدّراسات السوسيولوجية من خلال الاعتماد على المنهج الكمّي والمنهج الكيفي حسب تصنيف المعطيات:

- **المنهج الكمّي**: ويكون ذلك من خلال طرح التّساؤل لماذا؟ حسب المدرسة الدوركهامية.
- **المنهج الكيفي**: ويكون بطرح التّساؤل كيف؟ حسب المدرسة الفيبيرية.

تعتمد أغلب الدّراسات الجامعية اليوم سواء ما تعلّق بمذكّرات ليسانس أو ماستر، رسائل الماجستير، أطاريح الدّكتوراه علوم/ دولة، وما يسمى أطاريح دكتوراه (ل، م، د). على الاتجاهين المذكورين في دراسة الظّواهر الاجتماعية وبالتالي فإنّ فهم الظّواهر الاجتماعية من خلال البحوث الاجتماعية لا

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

تحقّق الأهداف المرجوّة إذا بقيت في رفوف المكتبات في أحسن الأحوال (لأنّ أغلب البحوث المنجزة لا تستغل إن لم نقل تحرق خاصة تلك المتعلّقة بليسانس)، حيث لا توظّف من طرف المؤسّسات (اجتماعية، اقتصادية، وسياسية) التي أقيمت حولها الدّراسات فتبقى الكثير من الدّراسات مجرّد تجارب نظرية وميدانية يقوم الباحث بها من أجل الترتيبات القانونية للحصول على شهادة التخرّج (ليسانس، ماستر، ماجستير، وأطروحة دكتوراه).

4 – عوائق البحث في علم الاجتماع:

في البداية لابأس أن نعرّج على تعريف بسيط للبحث العلمي حسب موريس أنجرس حيث يرى بأنّ البحث العلمي "نشاط علمي يتمثّل في جمع المعطيات وتحليلها بهدف الإجابة عن مشكلة بحث معيّنة" (10). ويذكر إميل يعقوب عندما يتكلّم عن البحث العلمي بأنّه "طريقة طويلة وشاقّة ولا يمكن لسالكها إلّا أن تتوفّر فيه شروط نفسية وأخلاقية وعلمية..." (11).

أمّا أهم عوائق البحث السوسيولوجي يمكننا تصنيفها إلى:

1.4.عوائق إيديولوجية:

تعتبر العوائق الأيديولوجية من أخطر العوائق على الاطلاق لأنها تعمل على طمس العديد من أساسيات البحث العلمي كالموضوعية (وهي الحياد أي عدم التّحيّز لأي جهة مهما كانت، ومعالجة الظّواهر كما هي)، والابتعاد عن الذّاتية (الابتعاد عن الميول الشّخصية)، كما تعتمد على عقلنة اللاعقلانية من أجل المصالح الضيّقة، وتنفي وتهمّش وتقصي الآخر... وهي من أقدم عوائق البحث العلمي التي تجعل من الباحث النّبيل يشكّك في كل بحث علمي اجتماعي له خلفيات نظرية ومنهجية، لأن النّظريات الأولى أسّست لإيجاد حلول لمجتمعات معينة كما قلنا ذلك سابقا.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

2.4.عوائق ميدانية:

لكل بحث علمي عوائق ميدانية مهما كان سواء في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، أو العلوم الدقيقة والعلوم الطّبيعية إلّا أن أعقد العوائق تصادف الباحث السوسيولوجي كونه ذات دارسة ومدروسة في نفس الوقت نوجز أهمّها فيما يلي:

- انعدام الدّعم المادي للطّلبة خاصة الدّراسات الاجتماعية الميدانية (نتكلّم عن ما هو واقعي وليس ما هو نظري مدوّن من خلال قوانين دعم الباحثين خاصة طلبة ما بعد التّدرّج خاصة بعد تبنّي نظام ل، م، د).
- غياب الشّفافية في توزيع الدّعم المادي الخاص بالبحوث الميدانية خاصة لطلبة ما بعد التّدرّج (ماجستير، ودكتوراه).
- الإعلانات التي تنشر في ظرف وجيز من أجل التّربصات لإستكمال مشاريع البحث العلمي الميداني، التي تحمل خلفيات عدم تمكن أكبر عدد ممكن من الباحثين والطّلبة من التسجيل والاستفادة لغرض، وتمرير ملفات أناس معيّنين وهذا بحكم التجربة الميدانية التي عايشناها بالجامعة...
- عراقيل تسهيل مهمة البحث الميداني من خلال خلل الاتفاقيات بين المؤسّسات والقطاعات داخل نفس البلد (الجزائر).
- عوائق تتعلّق بالذّاتية والموضوعية عند الباحث والمبحوث على حدّ سواء، هذه الأخيرة التي أشار إليها كلود بيرنار عندما تكلّم عن العلوم البيولوجية وعلم الاجتماع في مشابهة حول الاختبار أو التجربة يقول بأنّ الصّيغة التي يستخدمها البيولوجي "يستطيع عالم الاجتماع أن يستوحيها ليتحرّر من وهم الظّهور والشّفافية، فإذا ما حاول الأشخاص (موضوع البحث) خداعه باعترافاتهم الكاذبة أو شهاداتهم المظلّلة عليه أن يسلك سبيل الخطأ ليصل إلى الصّواب" (12).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

3.4.عوائق نظرية ومنهجية:

اعتماد أغلب الباحثين والطّلبة في علم الاجتماع على نظريات وطرق بحث قديمة وحديثة لكنها تتّجه في نفس المسار والتّوجه، وهي مستوردة أسّست لأغراض محدّدة على إثر أحداث عرفتها المجتمعات الأوروبية والغربية بشكل عام (يهمّشون ويتجاهلون أفكار الباحثين وعلماء مجتمعاتهم الذين حاولوا تقديم البديل من أجل فهم المجتمعات العربية وفق خصوصياتها)، وفق ثقافة وخصوصيات مجتمعات من أسّسوها، وبالتّالي الحديث عن البحث العلمي الاجتماعي في مجتمعاتنا العربية وفق نظريات من هذا النوع لا يمكنه أن يحقّق غاية البحث في علم الاجتماع وبالتالي تنقص الموضوعية ولا الرّوح العلمية في دراسة وفهم قضايا وظواهر المجتمعات هذه لأن خصوصيات مجتمعاتنا تختلف إختلافا كبيرا ولعلّ الحلقة الفاصلة بين هذين النّموذجين من المجتمعات هو الفصل التّام بين السياسة والدّين في المجتمعات المؤسّسة للنظريات الاجتماعية من جهة ومن جهة أخرى الفصل التّام غير المعلن بين الدّين والمجتمع، أمّا بالنسبة للمجتمعات العربية فإن أنظمتها السّياسية تدّعي تبني الدّين الإسلامي كدين للدّولة من جهة ومن جهة أخرى تتعامل مثلما تتعامل الدّول العلمانية الأوروبية، وهنا ذكرنا عامل الدّين لأنه المؤثر الأساسي في حياة البشر، حتى من يدّعي الالحاد فإنه يتبع دين الالحاد الذي يفرض عليه قواعده التي بني عليها. أما على مستوى أفراد المجتمع فإنّ المجتمعات العربية لا زالت لها علاقة وثيقة مع الدّين وهو ما يثبت نسب التّدين بها، وبالتالي يجد الباحث نفسه بين تناقضات وتفاعلات وفي ازدواجية مستمرة فأحيانا يواجه أراء وأفكار علماء وباحثين غربيين بالاعتماد على ما أنتجوه، وأحيانا أخرى يبني دراساته على المعطيات والدّراسات الغربية التي أجريت على مجتمعات تختلف عن مجتمعه المدروس ما يدعو للشك في نتائج البحث في علم الاجتماع في الوطن العربي.

5.4.عوائق إدارية:

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- من المفارقات التي يمكننا ملاحظتها في المجتمعات العربية بشكل عام والجزائر خصوصا أنها تقدّم الدّعم المادي للمخابر ومراكز البحث العلمي، وفي النهاية لا تعتمد على توظيف نتائج الدّراسات المتوصّل إليها من أجل إيجاد حلول للمشكلات التي يعاني منها المجتمع، خاصة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وبالتالي تعمل الجهات المعنية بهدر الأموال لغرض شراء السّلم الجامعي (أساتذة، وطلّاب).
- تخضع جميع عناوين البحوث العلمية للدراسة من قبل اللّجان العلمية في كل الجامعات وهذا أمر طبيعي إذا كان هدف هذه اللّجان هو تحديد البحوث التي تخدم وتعالج قضايا المجتمع ومحاولت فهم المشكلات الاجتماعية، لكن الواقع يبيّن أن هذه اللّجان لها أدوار أخرى خفية غير مصرّح بها وهذا في معظم المجتمعات الحديثة، وما يفسّر ذلك هو رفض بعض البحوث الاجتماعية من طرف تلك اللّجان وهذا يعود لسببين رئيسيين هما:
- خضوع إدارة الجامعية للإدارة المركزية لوزارة الجامعة، ومن خلالها لسلطة السياسي التي تحضر بعض نماذج البحث الحسّاسة.
- بعض عناوين البحوث تعرّي وتكشف تجاوزات إدارة الجامعة.

6.4.عوائق شخصية (خاصّة):

هذه العوائق لها علاقة غير مباشرة مع العوائق الإيديولوجية والتي سيطرت على الأفراد والجماعات والمجتمعات في العالم، وكون الباحث السوسيولوجي جزء من هذا العالم يتأثّر ويؤثّر فيه نجد الكثير منهم يؤسّس دراساته على التّفكير المعقلن في الاتجاه السلبي ما سمّيناه سابقا "بعقلنة اللاعقلانية"، التي تسيطر اليوم في كل الميادين والمجالات ما يجعل البحث السوسيولوجي اليوم وغيره يشكّك في نتائجه مهما كانت الوسائل المنهجية المعتمدة، وانطلاق تفكير بعض الباحثين في الظّواهر الاجتماعية في مجتمعاتنا من منطلقات نظرية بعيدين عن الميدان الحقيقي للدّراسة يقول ألان توران في هذا الموضوع:

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

"أعتقد أنّ عالم الاجتماع لا يمكن أن يفكّر إلّا بدءا من الميدان الذي يدرسه، وبالعكس أنا اليوم أكثر حساسية تجاه موضوع القطيعة مقارنة بموضوع الاتصالية" (13) بين العمل الميداني والتّأمّل النّظري.

الخاتمة:

تعتبر عملية البحث العلمي في كل التخصّصات من الضّروريات التي تجعل استمرارية الكشف، والتطوير، والتّدقيق والاختبار، لما كان سائدا من المعارف المتداولة، ولما هو جديد، وقد تختلف البحوث في مختلف العلوم من حيث المناهج أو الأدوات التي يصل بها الباحث إلى أهدافه العلمية النّبيلة، إلّا أن الهدف واحد هو خدمة المجتمع بكل مقوّماته وكل اختلافاته، وبكل روح علمية وعقلانية منطقية لا تختلف مع العقل السّليم، هذه الميزة قد تجد بعض العوائق في بعض العلوم والتخصّصات وخاصة علم الاجتماع هذا العلم الحديث النّشأة الذي تواجهه بعض المشكلات المنهجية والابيستيمولوجية بحكم من يدرس الظّواهر الاجتماعية فهو "دارس ومدروس في نفس الوقت" حلى حدّ تعبير كارل يسبرس وبالتالي يجد نفسه جزءا من الظّاهرة التي تؤثّر فيه بشكل قهري حلى حدّ تعبير إميل دوركهايم، أي بطريقة غير واعي بها أو واعي بها يجد نفسه متأثّر، وأحيانا أخرى يكون له دخل في الظّاهرة بوعيه يؤثّر فيها حلى حد تعبير ماكس فيبر. هذا إذا تكلّمنا عن البحث العلمي الأصيل، أما نحن في المجتمعات المستوردة لما ينتجه الآخرون فإنّنا ومنذ البداية نتأثّر بتوجّهات وتوجيهات الآخرين الذين قدّموا لنا مناهج دراسة الظواهر الاجتماعية من جهة، ومن جهة أخرى في أحسن الأحوال نبدع مثلما أبدع الآخرون انطلاقا من خلفياتهم، بعيدين عن واقع مجتمعاتنا التي تحتاج منّا كباحثين دراسات اجتماعية وسياسية واقتصادية عميقة تحدّدها خصوصيات مجتمعاتنا وبمقاسات ثقافتنا الأصيلة بكل مكوّناتها القديمة والحديثة، أساسها أخلاق مجتمعنا، وحاميها القانون الوضعي، "فإذا غابت الأخلاق والقوانين الصّارمة المتلائمة مع خصوصيات كل مجتمع لا مجال للبحث العلمي في أي تخصّص"، لقد

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

طرح المهتمّين بموضوع أخلاقيات البحث العلمي منذ عقود، حيث "كان ذلك بتأسيس أوّل لجنة للأخلاقيات سنة 1969 في الولايات المتّحدة الأمريكية" (14) في فترة كانت البشرية لا زالت لم تشفى من جرائم الحروب (الحرب العالمية الأولى والثّانية)، لكن اليوم لا ندري هل هناك التزامات اتجاه هذا الموضوع أم لا؟.

يمكننا القول في الأخير أنّه من المستحيل خدمة مجتمعاتنا وفهم واقعها المعيش بنظريات أسّست بإيديولوجية معينة لخدمة مجتمعات بعينها... وبالتّالي لفهم واقع أي مجتمع لابدّ أوّلا أن نعمل على القطيعة الابيستيمولوجية المنهجية والنّظرية مع كل ما جاءت به النّظريات المفسّرة للظّواهر الاجتماعية في زمن خلى وواقع معيش معيّن لخدمة مجتمعات وايديولوجيات بعينها من خلال تبنّي أفكار وواقع المجتمعات المراد دراستها، وبالتّالي فهم ظواهرها الاجتماعية بناء على مشكلاتها ونتائجها دون تعميمها على مجتمعات أخرى، لأنّ كل مجتمع له خصوصياته الثّقافية والحضارية.

الهوامش:

1 – أنتوني غيدنز، مقدّمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، مركز البحوث والدّراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002، ص 14.

2 – L. Mucchielli, Ladécouverte du social, naissance de la sociologie en France, la découverte, 1998.

3 – أمزيان محمّد محمّد، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكية، 1991، ص 258.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

4 – معتوق جمال، السوسيولوجية الكلونيالية من أجل قراءة نقدية جديدة، مجلّة آفاق لعلم الاجتماع، العدد الأوّل، البليدة 2007، ص 7.

5 – معتوق جمال، نفس المرجع، ص 16.

6 – معتوق جمال، علم الاجتماع في الجزائر: من النّشأة إلى يومنا هذا، بدون دار نشر، الطّبعة الأولى، الجزائر، 2006، ص 81).

7 – عيادي سعيد، التّجربة السّوسيولوجية في الجزائر: الممارسة والتّأويل، مجلّة آفاق لعلم الاجتماع، العدد الأوّل، البليدة، 2007، ص 146.

8 – معتوق جمال، علم الاجتماع في الجزائر: من النّشأة إلى يومنا هذا، ص 90 (بتصرّف).

9 – معتوق جمال، نفس المرجع، ص 97.

10 – موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2004، ص 70.

11 – إميل يعقوب، كيف تكتب بحثا (منهجية البحث)، جروس برس، للنّشر طرابلس، 1986، ص 42.

12 – بيير بورديو، ج. ك. باسيرون، ج. ك. شامبوردون، حرفة عالم الاجتماع، ترجمة نظير جاهل، دار الحقيقة، الطّبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1993، ص 117.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

13 – فيليب كابان، وجان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع من النّظريات الكبرى إلى الشّؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيّارات، ترجمة إياس حسن، دار الفرقد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى، دمشق، سوريا، 2010، ص 223.

14 - النّيال مايسة أحمد، وعبد الحميد مدحت، أخلاقيات البحث العلمي، دار النّهضة العربية، بيروت، ص 51.

قائمة المصادر والمراجع:

1 – المراجع العربية:

1- أمزيان محمّد محمّد، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكية، 1991.

2- أنتوني غيدنز، مقدّمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، مركز البحوث والدّراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002.

3- بيير بورديو، ج. ك. باسيرون، ج. ك. شامبوردون، حرفة عالم الاجتماع، ترجمة نظير جاهل، دار الحقيقة، الطّبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1993.

4- عيادي سعيد، التّجربة السّوسيولوجية في الجزائر: الممارسة والتّأويل، مجلّة آفاق لعلم الاجتماع، العدد الأوّل، البليدة، 2007.

5- فيليب كابان، وجان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع من النّظريات الكبرى إلى الشّؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيّارات، ترجمة إياس حسن، دار الفرقد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى، دمشق، سوريا، 2010، ص 223.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

6- معتوق جمال، السوسيولوجية الكلونيالية من أجل قراءة نقدية جديدة، مجلّة آفاق لعلم الاجتماع، العدد الأوّل، البليدة 2007.

7- معتوق جمال، علم الاجتماع في الجزائر: من النّشأة إلى يومنا هذا، بدون دار نشر، الطّبعة الأولى، الجزائر، 2006.

8- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2004.

9- النّيال مايسة أحمد، وعبد الحميد مدحت، أخلاقيات البحث العلمي، دار النّهضة العربية، بيروت.

المراجع الأجنبية:

1 - L. Mucchielli, Ladécouverte du social, naissance de la sociologie en France, la découverte, 1998.